

كتب بالفرنسية

فرنستنا

Notre France

**Farouk Mardam Bey, Edwy Planel,
Elias Sanbar***

Paris: Sindibad, 2011. 328 pages.

لتحديد علاقاته بفرنسا، بتاريخها
وجغرافيتها ومجتمعها وثقافتها
وسياستها، وهم يحاولون شرح
الأسباب التي دعتهم إلى الانتقال
إلى فرنسا والبقاء فيها. وتتعرف
من خلال حواراتهم على مساراتهم
المتعددة، وعلى الأحداث واللقاءات
التي أوصلتهم إلى ما هم عليه
اليوم.

وتجمع حوارات الأصدقاء
الثلاثة تجارب حياتهم
ومرجعياتهم وأفكارهم بشأن
المسائل الحارقة التي تجتاح
مجتمعهم كالهجرة والمواطنة
والانصهار في المجتمع والتنوع
الثقافي والعلمانية، كما يجمعهم
القلق إزاء القطيعة بين فرنسا
والعالم الذي أتوا منه وأتى منه
كثير من المواطنين، فهم نتاج هذا
العالم وشهود عليه.

ما معنى أن تكون فرنسياً؟ كيف
تفهم العالم من منطلق كونك
فرنسياً؟ يقول مؤلفو الكتاب إنه لا
يمكن تحديد الهوية الوطنية بمعزل
عن محيطها وتاريخها ومسارها،
وهم يضعون تجاربهم بعضها في
مقابل بعض، فهي لا تشبه بعضها
البتة، ذلك بأنها وليدة المنافي التي
عاشها كل منهم. ويستنتج القارئ
أن مساراتهم متداخلة متشابهاة أكثر
منها متباعدة ومختلفة، إذ تلتقي
فرنسا الحلم بفرنسا الضائعة.
يتألف الكتاب من ثمانية فصول

هذا الكتاب عبارة عن أحاديث
بين أولئك المؤلفين
الأصدقاء الذين نشأوا خارج فرنسا
واستقروا فيها لاحقاً وحملوا
جنسيتها، كأن حواراتهم هذه كانت
طريقاً إلى وعيهم بـ "فرنستهم"،
ووسيلة بوح "فرنستهم" بكل غناها

وتنوعها.

وأنت فكرة الحوار في أثناء فترة
عصيبة من تاريخ فرنسا كثر فيها
لغط الحكومة بشأن الهوية الوطنية،
وانقلبت فيها معايير الدولة
وثوابتها في نهاية سنة ٢٠١٠.
ويسعى كل واحد من المؤلفين

* فاروق مردم بك، سوري المولد، سافر إلى فرنسا في سنة ١٩٦٥ لمتابعة دراسته
في الحقوق. باحث ومؤرخ، عُين مديراً لمكتبة معهد الدراسات الشرقية ثم لمكتبة معهد
العالم العربي. عمل أعواماً مستشاراً ثقافياً في المعهد ومديراً لتحرير "مجلة الدراسات
الفرنسية" في باريس، وهو اليوم مدير دار نشر "سندباد - أكت سود" التي تهتم بنشر
الأدب العربي المترجم إلى الفرنسية. له أيضاً ما يقارب من عشرة مؤلفات وثائقية
وتاريخية بشأن العالم العربي والمطبخ العربي، فضلاً عن الترجمات الأدبية • إدفى
بلانيل، فرنسي المولد، عاش طفولته وشبابه في المارتينيك والجزائر قبل أن يستقر
في فرنسا في سنة ١٩٧٠. صحافي أسس الصحيفة الإلكترونية "ميديابارت" في سنة
٢٠٠٨ بعد استقالته من إدارة تحرير صحيفة "كوموند". عمل سابقاً مديراً لسلسلة
إصدارات في دار نشر "غاليمار" ثم في دار "ستوك"، وله أكثر من عشرة مؤلفات
والعديد من المقالات والمحاضرات والشهادات، وهو يشارك في برنامج أسبوعي في
الإذاعة الفرنسية، كما يقوم بتدريس مهنة الصحافة في جامعة مونبلييه • الياس
صنبر، فلسطيني المولد، عاش طفولته مع عائلته في لبنان. سافر إلى فرنسا في سنة
١٩٦٩ لدراسة العلاقات الدولية. مؤرخ، أسس "مجلة الدراسات الفلسطينية" باللغة
الفرنسية في باريس، وشارك في المفاوضات الثنائية مع إسرائيل. يعمل اليوم سفيراً
لفلسطين لدى اليونيسكو، وله ما يقارب عشرة مؤلفات باللغة الفرنسية بشأن القضية
الفلسطينية. ترجم إلى الفرنسية أعمال الشاعر محمود درويش.

وخاتمة، يحمل كل منها عنواناً شديد الدلالة والشاعرية في آن واحد:

١ - ثلاثة مبعدين: يروي فيه المؤلفون نشأتهم وتكوينهم وتعلمهم وأوضاع انتقالهم إلى فرنسا.

٢ - فرنسا قبل فرنسا: كيف كانوا يرون فرنسا وماذا كانت تعني لهم على الصعيد الشخصي والاجتماعي والسياسي، فضلاً عن علاقتهم باللغة والثقافة الفرنسيين، وذلك من منظور سوري (فرنسا بلد الانتداب)، أو جزائري (فرنسا بلد الاحتلال) أو فلسطيني (فرنسا الدولة الداعمة لإسرائيل).

٣ - الوصول إلى بلد الأحلام: يتحدثون عن أولى لقاءاتهم بفرنسا، السياسية والثقافية، وانهار أفكارهم المسبقة وحنينهم وشعورهم بالانتماء والغربة. علاوة على ارتياد المكتبات وصلات السينما والمسرح، والمشاركة في التظاهرات، والتكون والالتزام السياسيين. ويزخر هذا الفصل بالقصص المضحكة وبروح المرح.

٤ - سنوات الانقلاب: وصل مؤلفو الكتاب إلى باريس في أعوام مفصلية عصبية هي أحداث ثورة ١٩٦٨ والانقلاب الذي أحدثته هذه الهزة التاريخية، والتيارات الفكرية والعلاقات الإنسانية، وكذلك نسخة ١٩٦٧ بالنسبة إلى القادمين الجدد، وكيف عاشوا هذه الأحداث شخصياً ومجتمعياً على الرغم من الفصام مع الحدث بعد حرب الأيام الستة

ونشوء المقاومة الفلسطينية. لقد بنوا خلال تلك الأعوام هوياتهم وتكونت شخصياتهم وصدقاتهم وعلاقاتهم بالعالم، وهم يتذكرون بداية انخراطهم في الحياة العملية وفي آلية الكتابة. وهذا الفصل المحوري في الكتاب يبوح بالترام كل منهم بالقضية الفلسطينية وكيف عاشوها في فرنسا وما كانت عليه علاقاتهم بالمتقنين الفرنسيين في تلك الأعوام الصعبة، ويؤكدون أنهم لا يتصرفون كعابري سبيل أو كزائرين في فرنسا، وإنما هم ملتزمون بقضايا البلد الذي يعيشون فيه كما هم ملتزمون بالقضايا العربية وفي قلبها القضية الفلسطينية.

٥ - لقاءات رفيعة: يتحدثون عن صدقاتهم وتعرفهم إلى بعض الشخصيات التي كان لها الأثر الكبير في حياتهم، مثل: جيل دولوز؛ جان جينيه؛ محمود درويش؛ جيروم ليندون؛ ماكسيم رودنسون؛ دانيال بنسعيد؛ إدوار غليسان؛ بيير فيدال ناكيه؛ عز الدين القلق؛ جان لوك غودار؛ سعد الله ونوس؛ سمير قصير؛ وغيرهم، ولا سيما من قُتل منهم تاركاً أثره النفسي العنيف في مساراتهم.

٦ - نظرة سياسية: يعرض الأصدقاء الثلاثة الحياة السياسية في فرنسا على مر الأعوام منذ وصولهم إلى بلدهم الجديد، وخصوصاً السياسة الخارجية وكيفية تعامل حكومات فرنسا المتتالية مع القضية الفلسطينية

ومع إسرائيل.

٧ - الطبيعة والتذوق: يروي

المؤلفون ذكرياتهم وأسفارهم واكتشافهم للطبيعة ولأحياء باريس وللريف الفرنسي مع علاقاتهم الاجتماعية واهتمامهم كذواقين للمطبخ والنبذ.

٨ - مديح الاختلاف والتشابه:

يتناول المؤلفون النقاشات الدائرة في فرنسا في أواخر سنة ٢٠١٠، والتي أثارت حفيظتهم ودفعتهم إلى تحديد مواقفهم في حواراتهم، وعلى صفحات هذا الكتاب، وخصوصاً حرب الثقافات المغلوط فيها، والتي أثارت الجدل والانقسام في المجتمع الفرنسي، ولا سيما أنهم اختاروا العيش فيه ويعتبرون أنفسهم جزءاً لا يتجزأ من نسيجه. وهم يدعون مواطنيهم إلى قبول الاختلاف، آخذين بمقولة غوته: "من يعرف ذاته ويعرف غيره، يعرف أيضاً أنه لا ضرورة لفصل الشرق عن الغرب."

٩ - الخاتمة: كُتِبَ هذا الفصل

بعد ستة أشهر على انتهاء الكتاب، وذلك في إثر اندلاع الثورات العربية في تونس ومصر وليبيا واليمن وسورية. ويؤكد المؤلفون أن قيم الديمقراطية ذاتها موجودة على ضفتي البحر الأبيض المتوسط، وأن الأوان آن لفصل تعاقبية الاستبداد والتعصب الإسلامي، كأنها قدرنا التاريخي الذي لا مفر منه. لقد كان العالم، والعالم العربي خاصة، ينتظر الشرارة، وفعلاً، انطلقت تلك الشرارة من سيدي بو سعيد في تونس وانتشرت كالنار في الهشيم

انسجاماً مع محيط ثقافي يزخر بالمرجعيات الفكرية والأدبية التي تدل على غناهم الثقافي والإنساني والتي تجعلنا، بدورنا، أكثر غنى وثقافة وحكمة.

رانية سماره
مترجمة وكاتبة سورية

الكتاب هي مناسبة جميلة للتعرف عن كتب إلى هؤلاء المثقفين الثلاثة الذين يتميزون بحضور بارز في الساحة الفرنسية، لأنهم أصدقاء قدامى لنا، نعرفهم من أيام الطفولة والشباب، فندخل في ذكرياتهم التي تبدو لنا أليفة كأنها ذكرياتنا، وتعطينا الإحساس بأننا أكثر

في بلاد عربية أخرى. فرنستنا، لوحة رائعة، تنضح بالحساسية والذكاء والثقافة والإنسانية، وهي كفيلة بمصالحة القراء، وخصوصاً المهاجرين إلى فرنسا منهم، مع فرنستهم، وربما تجعلهم يبتكرون بدورهم فرنستهم التي تلائم مسيرتهم. إن قراءة هذا

كتب بالعبرية

الكنيست والوزارة، وإنما عمله الطويل في مجال الصحافة المكتوبة والمرئية والمسموعة، فالذي صنع هذه الشخصية المثيرة للجدل كان، أولاً وأخيراً، الصحف والتلفزيون.

صورة الأب من خلال الابن

يروى هذا الكتاب مسيرة يوسف (طوموي) لبنيده كما رواها خلال السنة الأخيرة من حياته، لصديقه المقرب أمنون دينكر، والتي قام ابنه بنيده لبنيده بصوغها من جديد كما لو أن طوموي هو راويها، فإذا بنا أمام استعادة لحياة الأب من خلال عيني الابن، الأمر الذي شكّل تجربة جديدة في كتابة السيرة الذاتية نظراً إلى العلاقة التي تربط بين الكاتب وصاحب السيرة، والتي جعلت الابن يدخل في جلد الأب ويعيش أحداث

ذكريات ما بعد موتي:

قصة حياة يوسف (طوموي) لبنيده

بنيده لبنيده

القدس: كاتر سفاريم، ٢٠١٠. ٤١٤ صفحة.

في الكنيست السادس عشر وتحولها إلى القوة البرلمانية الثالثة بعد حزبي الليكود والعمل. آنذاك، كان يبدو أن طوموي لبنيده بلغ ذروة نجاحه السياسي، وشكل النموذج الناجح للإعلامي الذي دخل الحياة البرلمانية عن طريق العمل الصحفي. لكن من يقرأ سيرته الذاتية في هذا الكتاب يلاحظ فوراً أن الذي خلق حضور طوموي لبنيده في الحياة السياسية ليس دخوله إلى

كان يوسف (طوموي) لبنيده في الثامنة والستين من عمره عندما أصبح أول مرة عضواً في الكنيست الإسرائيلي الخامس عشر (١٩٩٩ - ٢٠٠٣) بعد الفوز المفاجئ لكتلة "شينو"، حزب الوسط العلماني، بستة مقاعد، ثم ما لبث أن أصبح وزيراً في حكومة شارون بعد أن استطاعت كتلته تحقيق أكبر انتصار انتخابي لها في سنة ٢٠٠٣ بفوزها بـ ١٥ مقعداً